نزعة الالتزام في شعر عدنان الراويّ بين الرؤية والتطبيق

م.د خالد جمال حسين

مديرية تربية الأنبار / الكلية التربوية المفتوحة

alysawyk97@gmail.com

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٤/٩/٢٣

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٤/١٠/٢٩

الخلاصة :

يهدف البحث إلى دراسة قضيّة الالتزام في شعر الشاعر العراقيّ عدنان الراويّ الذي اختار الانحياز الكامل لأبناء أمّته العربيّة ، فرصد بواقعيّة وموضوعيّة المعاناة والهموم وعبّر عن الطموحات تنظيرًا وتطبيقًا ، فاتجه بآرائه النقديّة ومشاعره نحو المجتمع العربيّ في جميع أرجاء الوطن العربيّ ، فكشف لهم المخاطر التي تحيط بهم ووجّههم نحو طريق التحرّر والوحدة ، وحفزهم إلى التطور والعطاء ، ومعبرًا عن القيم المثلى والمبادئ السامية ، فانعكست في شعره هموم الأمّة من ظلمٍ وقهرٍ واستبداد ، والإحساس بالحاجة إلى الوحدة والحب والاستقرار ، فعرض البحث تلك الموضوعات معتمدًا المنهجالاستقرائي الوصفي في تتبع الآراء النقديّة التي طرحها الشاعر في المقدمات والموضوعات التي عبّر عنها في القصائد الشعريّة .

الكلمات المفتاحية : نزعة ، الالتزام ، شعر ، رؤية ، تطبيق ، الراوي

The tendency of commitment in Adnan Al-Rawi's poetry between vision and application

Dr. Khaled Jamal Hussein

Anbar Education Directorate / Open Educational College

alysawyk97@gmail.com

Date received: 23/9/2024
Acceptance date: 29/10/2024

Abstract

The research aims to study the issue of commitment in the poetry of the Iraqi poet Adnan Al-Rawi, who chose complete bias towards the people of his Arab nation. He observed, with objective realism, suffering and concerns and expressed aspirations in theory and practice. He turned his critical opinions and feelings towards Arab society in all parts of the Arab world, revealing to them the dangers that surround them. He directed them towards the path of liberation and unity, and motivated them to develop and give Expressing ideal values and sublime principles, his poetry reflected the nation's concerns of injustice, oppression, and tyranny, and the feeling of the need for unity, love, and stability. The research adopted the descriptive and analytical method in tracking the critical opinions put forward by the poet in the introductions and the feelings and themes he expressed in the poems .

Keywords: tendency, commitment, poetry, vision, application ,ALrawy

المقدمة :

إنّ للأدب أثرٌ فعّال في المجتمعات ولا سيّما الشعر منه ، إذ يقوم بطرح عدة قضايا تلامس حياة الفرد والمجتمع ، وهذا الأثر والأهميّة متأتيان من مكانة الأديب ومهمته ضمن المجموعة التي ينتمي إليها ويرتبط معها بأواصر اجتماعيّة وأيديولوجيّة ، وعن طريق التأثير والتأثّر المتبادل بينهما يشاركهما الآمال والآلام .

فالأديب والشاعر هما المعبران عن المجتمع شعورًا ووجدانًا فيغدوان القلب النابض له ، لأنّهما أكثر تأهيلًا للتعبير عن القضايا والطموحات بما يتسمان به من حسٍّ مرهفٍ وفكرٍ منفتحٍ نحو المجد والسمو ، بهدف معالجة تلك القضايا التي يرياها العائق في طريق التطور والوحدة والتحرّر والوصول إلى واقعٍ أفضل من الواقع المعيش الذي كدّرته الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة وغيرها من المعوقات التي أثّرت على سير عجلة التطور والتطلع نحو الأفضل ، لذلك وظّف كثير من الشعراء شعرهم خدمة لغايات وأهدافٍ سياسيّة واجتماعيّة وفضّلوا تلك القضايا الجمعيّة على ذاتهم ومشاعرهم الخاصّة فجعلوها بشكل عامّ تعبّر عن المجتمع بأسره ، ومنهم شاعرنا عدنان الراويّ الذي كان من طليعة الشعراء الذين عُنوا بتلك القضايا ، فكرّس جلّ شعره التزاما بتطلعاته نحو الاستقلال والوحدة والحريّة ، إذ كان الباعث الرئيس لشعره هو الوطن والأمّة العربية متغنيًا ومفتخرًا بالانتصارات، ومتألمًا للانكسارات والضعف والشتات ، فاتخذ من أدبه شعرًا ونثرًا وسيلة للتعبير عن رؤاه وآرائه ، ومن هذا المنطلق عُنيَ البحث بدراسة قضيّة الالتزام في شعر عدنان الراوي في الرؤية والتطبيق ، إذ لم أجد دراسة قد تناولت شعر الشاعر في الجانب الموضوعي والفني سوى الدراسات التي تناولت حياته وشعره جمعًا وتحقيقًا ، لذا ارتأيت أن أُسلط الضوء على توجهه الفكري والأدبي ، وبيان مكانته الأدبيّة كونه قد عاصر كبار الشعراء في عصر التطور والتجديد في الشعر العربي الحديث ، لذا فقد انقسم البحث على محورين يسبقهما تمهيد : تناول الأوّل رؤاه النقديّة التي وضعها في مقدمات مجاميعه الشعريّة وبيان موقفه من السياسة والاستعمار وتأثيرهما على الأدباء ، أمّا المحور الثاني : فقد تناول نزعة الالتزام في شعره وطنيًّا وقوميًّا ، إذ اختلطت فيه المشاعر بين الفرح والفخر والحزن والألم ، أمّا التمهيد فقد اختص بالتعريف بسيرة الشاعر وبيان مفهوم الالتزام ، وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي الوصفي للنماذج المختارة من كل موضوعٍ وطني أو قومي ، وخُتِمَ بأهم النتائج التي توصّل لها .

تمهيـد

أولا : سيرة الشاعر

ولد الشاعر عدنان الراوي في أحد أحياء الموصل القديمة عام (١٩٢٥م) ، ودفن فيها بعد أن وافاه الأجل في) ، أكمل تعليمه قبل دراسته الجامعيّة في مسقط رأسه حتى انتقل بعد ذلك إلى بغداد عام (١٩٦٧ القاهرة) ، وقد مارس عمل لإكمال دراسته الجامعيّة ، ودخل كليّة الحقوق فنال منها ليسانس الحقوق عام (١٩٤٨ المحاماة، فكانت القضايا السياسيّة محطَّ اهتمامه الأساس دفاعًا عن الحريّات، كما كان له دور فعّال في مناهضة معاهدة بورتسموث (١٩٤٨)، وساهم أيضًا في وثبة الشعب العراقي (١٩٥٢) مما عرّضه للسجن والاعتقال عدة مرات[1].

لم يكن عدنان الراويّ شاعرًا فحسب ، بل عمل في الصحافة والإعلام فاتخذهما منبرًا ينشر عن طريقهما أفكاره ورؤاه مما دفعه هذا الهدف إلى إصدار جريدة (العمل) المعارضة للسلطة آنذاك ، فبثّ فيها أفكاره ناقدًا

ومعارضًا ومدافعًا عن الحقوق ومناديًا للحريّة وهذا ما أزعج السلطات فأغلقتها وسحبت امتيازها، فغادر العراق مضطرًا عام (١٩٥٤) متوجّهًا إلى القاهرة واتخذ من إذاعة صوت العرب منبرًا بديلًا ليستمر في معارضته والتعبير عن آرائه ؛ وهذا ما دفع السلطات إلى تشديد العقوبات عليه فأسقطت الجنسية العراقية منه عام (١٩٥٥)، إلّا أنّه قد عاد إلى العراق بعد أن انتهى عهد الحكم الملكي عام (١٩٥٨)، واستمر بمزاولة نشاطاته السياسيّة المعارضة حتى اتهم بالاشتراك مع رشيد عالي الكيلاني بمؤامرة ضد النظام الجديد، فأُلقيَ في سجن أبي غريب (ديسمبر ١٩٥٨)، وأفرج عنه في عام (١٩٥٩)، ففرَّ لاجئًا إلى سوريا ومن ثمّ العودة إلى القاهرة ليواصل نضاله ومعارضته فكان صوتًا صادحًا مناديًا عن طريق وسائل الإعلام المصرية إذاعيًّا وصحافيًّا فأُصِيبَ بمرض سرطان الدم فأمر الرئيس عبدالناصر بعلاجه في بالحريّة والاستقلال حتى عاد إلى العراق .إحدى مستشفيات القوّات المسلحة بالقاهرة، وقد وافاه الأجل بعد عدة أسابيع[2]

أمّا شاعريّته فقد جاء عنه في معجم البابطين بأنّه : "شاعر قومي، وظّف شعره لخدمة إيمانه بالقومية العربية والحريّة والثورة على الظلم والطغيان السياسي، اعتمد قصيدته جواز مرور للنضال، وقد تنوع معجمه الشعري بين مفردات الثورة والتمرد، فجاءت صوره صاخبة معبرة عن تطلعات الإنسان في عصور القهر، واتكأت بعض قصائده على الشكل التقليدي، ولكن ظل الشكل التفعيلي لديه أكثر قدرة على التعبير عن قضايا الحرية في عصره، إذ استطاعت إيقاعاته تجسيد حركة النفس ومجاوبة الانفعال، كما كانت صوره المجازية أكثر إشراقًا وتحريكًا للمخيلة، وأن تملأ المسافات الشاغرة بين وثبات خيال"[3]

صدرت للشاعر عدنان الراوي عدة مؤلفات بين دواوين ومجاميع شعريّة وهي : (هذا الوطن) – بغداد – ١٩٤٧. (من العراق) – بيروت – ١٩٤٩ ، (أيام النضال) – القاهرة – ١٩٦١. (المشانق والسلام) – بيروت – ١٩٦٣. (النفط الملتهب) – بيروت – ١٩٦٣، وقد جُمِعَ شعره ونشر مع تقديم مرتين: الأولى عن طريق شقيقته شرقيّة الراوي بعنوان (ديوان الشاعر عدنان الراوي) جمع وتقديم في القاهرة عام (١٩٧٤) ، والثانية بعنوان (المجموعة الشعرية الكاملة): جمع وتحقيق الدكتور عبدالله الجبوري – مطبوعات وزارة الثقافة – بغداد ١٩٧٨، وله أيضًا ملحمتان شعريّتان: (النشيد الأحمر) – مطبعة بغداد – ١٩٥١، و (الأوديسة العربية)– مطبعة المعارف – بغداد ١٩٦٨، مع قصائده (من وحي فلسطين)، وللشاعر قصائد أخرى قد نشرت في الصحف منها: قصيدة: (إلى المستر دالي) – مجلة البترول والغاز العربي – العدد السابع – بيروت ١٩٦٧ ، فضلًا عن نتاجه النثري[4] .

ثانيا : مفهوم الالتزام

الالتزام في اللغة : جاء في لسان العرب في معنى (ل ز م) أنّ : "اللزوم معروف. والفعل لَزِم، يلزمُ والفاعل لازِمٌ، والمفعول: مَلْزُومٌ، لَزِمَ الشيء يَلْزَمه. وَلِزُومَه ، يَلزِم الشيء ولا يفارقه، والالتزام : الاعتناق "[5].

والمعنى نفسه في المعجم الوسيط " لزم الشيء لزومًا وثَبَتَ ودامَ وَلَزِمَ كذا من كذا نشأَ عنه وَحصلَ منه ، والتزم الشيء أثْبَتَه وأَدامَه ، وَأَلزَمَ فلانًا الشيء أوجَبَه عليه ، وَيُقال : اعْتَنَقَه التَزَمَ المَالَ والعَمَلَ خصمي الحجّةَ وَغَيْر ذلِكَ ، ويقال: أَلْزَمتُ خَصْمِي حجّته"[6] **الالتزام في الاصطلاح الأدبي** : يدخل مصطلح الالتزام في مجالات كثيرة ومتنوعة ويدل في كل مجالٍ منها على معنى ومفهوم معيّن يحدّده أهل الاختصاص ، أمّا ما يعنينا هو مفهومه في مجال الأدب ، فقد اتضح أنّ " فكرة الالتزام في الأدب فكرة حديثة وهي وليدة هذا العصر "[7] ، وقد أصبح ظاهرة واضحة وجليّة في نتاج الأدباء ولاسيّما الشعراء الذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن قضايا الأمة العربية وعلى هذا الأساس يتضح أنّ الالتزام الأدبي هو :" حزم الأمر على الوقوف بجانب قضيّة سياسيّة أو اجتماعيّة أو فنّيّة ، والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير الخارج عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب من آثارٍ تكون حاصلة لمعاناة صاحبها ولإحساسه العميق بواجب الكفاح ولمشاركته الفعليّة في تحقيق الغاية من الالتزام"[8] ، وقد وعرّفه حميد المطبعي بأنَّه : "ذلك الأدب الذي يصور المشاعر الداخلية في الإنسان ويعكسها إلى الخارج بفن رفيع ، وغاية هذا الفن تحريك الكوامن في المتلقي لتتم عملية التفاعل الإيجابية (الإنسانية) بين الأديب والقرّاء"[9] ، فالأديب يعرب عن مسؤوليته تجاه قضايا أمّته ويشاركهم وجدانيًّا وفكريًّا لمواجهة الظروف السياسية والاجتماعيّة بغية تخطي الصعاب ونيل الحرية والظفر بالعدالة الاجتماعية ، ومن رحم هذه المعاناة وُلِدَ الالتزام نتيجة " لاحتكاك الأدب بمشكلات الحياة التي يعيشها وإدراكه لخطورة الدور الذي يقوم به إزاء هذه المشكلات "[10] .

وجاء في معجم مصطلحات الأدب " أنّ الالتزام هو اعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معيّنة عند الإنسان لا لمجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال "[11] ، عن طريق ما تقدّم اتضح مفهوم الالتزام وباعثه وهدفه ، إذ إنّه ارتبط بالمجتمع ارتباطًا مصيريًّا وانشغل به وعبّر عن همومه ومعاناته ليكون قوة فاعلة في تغيير منحى الحياة صوب ما يطمح إليه الأديب والمجتمع لتسيير الفن للمجتمع لا الفن للفن .

المحور الأول : الالتزام في رؤية الشاعر

يعدّ الشاعر الراوي من أعمدة جيل الروّاد في الشعر العربي الحديث أو ما يسمّى بجيل (الخمسينيات) إذ إنّه كان معاصرًا لبدر شاكر السيّاب ونازك الملائكة وصلاح عبدالصبور وغيرهم من أعلام الشعر العربي الحديث ، فقد تمكّن مجاراةً لأقرانه أن يجتاز عتبة التقليد والتشبّث بقيود القوالب الفنيّة والموضوعيّة القديمة وهذا التفلّتِ ليس رفضًا تامّا للماضي بل لفتحِ آفاقٍ جديدة للشعر العربي ليواكب كل ما استجدَّ في الأمّةِ من أحداثٍ على الأصعدةِ جميعها ، وهذا أمرٌ طبيعيّ ومسلّمٌ به لأنّ الشعرَ يأبَى الجمود والاتباع التام ، فهو تعبيرٌ عن مشاعر وأحاسيس شاعرٍ مرتبط أيديولوجيًّا وانتماءً لأمّةٍ ينقل بصدقٍ وأمانةٍ وجلاءٍ كل ما يختلجُ في نفسه أوّلًا

إزاء ما يحدث للأمّة من اضطرابات وانتكاساتٍ وخروقات ، وثانيًا تصوير تلك الأحداثِ وما تخلّفه من آثارٍ وآلامٍ في نفوس المجتمع ، لذا ومن هذا المنطلق يُعَدُّ شاعرنا الراويّ من أبرز الشعراء في العصر الحديث الذين عُنُوا بهذه القضيّة – قضيّة الأمّة العربيّة – إذ جاء جُلُّ شعرِهِ تعبيرًا صادقًا عن هموم الأمّةِ العربيّة وما وقع فيها من انتكاساتٍ وأحداثٍ كبرى أثقلت كاهلها ونالت من أبنائها قتلًا وتنكيلًا وتشريدًا .

وعلى مرِّ العصور الأدبية اتضح جليًّا أثر البيئة وقضايا العصر في الشعرِ لأنّ الشاعر ابن بيئته ويرتبطُ بها ارتباطًا مصيريًّا ، فينهل منها مرجعيّاتهِ الثقافيّة كما أنّها تنعكس في أعماله الأدبيّة سواء أكانت محليّةً أم عامة ، وفي الجانب الآخر تُعرِبُ عن موقفه تجاه المجتمع وتكشف عن أحواله النفسيّة[12] ، وهذا ما اتسمَ به شعرُ الراويّ الذي كان وعاءً ضمَّ رآه السياسيّة والأيديولوجيّة فضلًا عن مواقفه القوميّة من قضايا الأمّة العربية وما عصفت فيها من أحداثٍ دامية في بدايات ومنتصف القرن العشرين ، فقد اتصفَ شعره بطابع الحزن والأسى كما هو الحال عند معاصره بدر شاكر السيّاب ، ونجدُ تعليلًا لهذه القضيّة من قبل الشاعر في مقدماته التي كتبها في مطلع مجاميعه الشعريّة ، إذ يعزو السبب إلى ما يحصل في الوطن والأمّة العربية من انتهاكات وانقسامات وظلم واضطهاد فحمل هذه القضايا في ضميره إذ قال : " يقولون لماذا يتّجه هذا الشاب بشعره هذا الاتجاه ، فلا نقرأ له من الشعر إلّا المآسي والنقمة والاندفاع ، وأقول أنا لهؤلاء: إنَّ حياتي مأساةٌ ، وإنّ روحي ناقمة ، وإنّ قلبي لا يهدأ ، فأعطوني وطنًا حرًّا مستقلًا ، أسكت أنا عن المطالبة بالحريّة والاستقلال ،واجعلوا حياة الناس في بلادهم سعيدة هانئة أسمعكم أنا شعر الربيع والورد المبتسم ، ونظّفوا بلادكم من الظلم والجوع أنشد أنا لكم ألحان الغزل المتألّق والحب الذي لا يموت ، فأنا جزءٌ من هذا الوطن ، وليس للجزءِ أن يضحَكَ حين يبكي أصله "[13]، فهنا تبريرٌ من الشاعر لطابع الحزن والألم الذي ورد في شعره وأصبح إيقاعًا متوهجًا مستمرًّا ومكررًا وحالة انفعالية قد طغت على مجمل شعره ، وبرزت عنده كدالةٍ اتسم بها نتاجه الأدبي ، والبيئة الخصبة التي أثرت معجمه الشعريّ ، حتى غدا ذاكرة حيّة للشعب واللسان الناطق المعبّر عن آلامه وهمومه ، إذن فالحزن كان سببًا لعدم بثّ روح التفاؤل والحب والسعادة في شعره حتى جاء الحزن علامة بارزة عنده تلفت الانتباه وتحفّزه على الإبداع ومصدر إلهام أثرى نتاجه الشعريّ .

ثمَّ أنّه لا يكتبُ ارضاءً لذوق النقّاد لنيل الإعجاب أكثرُ ممّا هو تعبيرٌ عمّا يختلجُ في داخله من ألمٍ وحزنٍ لما أصابَ الأمّة العربية من انتكاساتٍ ومؤامراتٍ نالت من وحدتها وأضعفت قوّتها، فقال : " إنّ الأملَ الذي يراودني ساعة إخراج هذه المجموعة للنّاسِ هو الرضاء ، والرضاء فقط، فلسْتُ أطمعُ بالإعجابِ ، ولرب رضاء من بني وطني يحمل في قلبي محمل الإعجاب "[14] ، ففي هذا إشارة من الشاعر إلى تكريس نتاجه الشعري إلى ما يرضاه المجتمع لا النقّاد ، وقد بيّن الشاعر أيضًا سبب انصرافه عن موضوعات الغزل والمديح وغيرها من الأغراض الشعريّة التقليديّة التي تعبّر عن ذات الشاعر ، فعلّلَ سبب العزوف عن هذه الموضوعات هو توجيه

مشاعره صوب هموم المجتمع وبث روح الوطنية والحماسة في شعره ، فقال : " سيلاحظ القارئ انصرافي إلى إخراج هذه الصور وعرضها في معرض الأدب على الناس ، وإبقاء الصور الأخرى التي ترسمها عواطفي مكدّسة في أدراج مكتبتي ، أرجو أن أقتنع بأنّي أفيد الناس والأدب العربي إذا أخرجتها بكتابٍ كهذا ... ولست مقتنعًا الآن ، بل ولستُ مقتنعًا بنشرها في الصحف والمجلات بداءةً ، وفيها الكثير مما يفيدني نشره فيعلم القارئ بأنّي إنسانٌ مثله في حبّه وهجرهِ وحرمانهِ وأوهامه وتسابيحه وآلامه ، ولربما أكون أشدّ منه إحساسًا وأصدق تعبيرًا ... غير أنّي مؤمنٌ بضرورة تفضيل هذه على تلك في هذه الآونة ، وسيأتي الزمن الذي أملأ فيه الكتبَ غزلًا بمن أحِبُ وحنينًا لمن أحِبُ ، وأملأ الكتبَ بالتحريمِ فيما وراءَ اللانهاية وعلى الأفق الأرجواني ، إنّ هذه العواطف والصور تحتل مكانها المحفوظ في مكتبتي وستكون في يوم من الأيّام في مكتبة القارئ "[15] ، فالشاعر يشطبُ ذاته من قائمة الأولويات ويصدّرَ قضايا الأمّة ليكون شعرُه منارةً للأملِ ومحفزًا للهمم وموقظًا للضمائر إذا غفلت ومحييها إنْ جفّت ، ومنتشلًا المجتمع من الضياع والانتكاس ، لذا طمح الشاعر بأن يجعل الأمل مشعًّا من بلّورة شعره ، فالشعر عنده وسيلة للوصول إلى غاية ، وأن يكون أحد وسائل وأدوات التغيير في المجتمع عن طريق التأثير به وبث روح الوطنية والسعي إلى الوحدة العربية ونشر الوعي بين الناس .

لقد نظم الشاعر شعره بأسلوبٍ سهلٍ وواضحٍ وبلغةٍ مباشرةٍ خاليةٍ من الرمز والغموض ، وكان هذا قصدًا منه ليجعل أفكاره ورآه النقديّة التي بثّها في شعره سواء أكانت سياسيّة أم اجتماعيّة قريبةً من المتلقي وليسهّل عليه الإدراك والفهم ، إذ قال : " وأجدني مرغمًا على القول إنّ الوضعَ الثقافيّ في البلاد يدفعني إلى كتابة عواطفي بهذا الأسلوب الساذج البسيط ليكون قريبًا من إدراك الناس وفهمهم ، فأنا أكتبُ للشعبِ ، وبصفتي اشتراكيًّا فإنَّ الأدبَ عندي وسيلةً لخدمةِ بلادي وقومي ، وانتشال هذه الجماهير المحتشدة من هذا الوضعِ المزري الرديء الذي تعيشُ فيه البلاد، ولا أستطيع مخاطبة الجماهير بالشعر الرمزيّ ، أو الشعر المحَلّق في صور بيانه وبديعه ، أريد أن يفهم الناس ما أقول ، ولا يهمني بعد ذلك في هذا اللون من الشعر أن يرضى الناقدون أولًا ، فأنا لا أنظم للناقدين ولأرباب البيان الرفيع ، بل أنا أنظم للشعب "[16] ، يتضح من هذا النص كيف حدّدَ الشاعر خصائصَ شعرَه اسلوبًا وصورًا ، فضلًا عن موقفه تجاه النقّاد ، مع وضوح شخصيّته وحزمه على موقفه الثابت بالتشبث بآرائه وتحديد توجّهاته الأدبيّة والفكريّة ، إذ جعله خدمة للمجتمع وليس للمتعة والجمال ، إيمانًا وتطبيقًا لنظرية الفن للمجتمع .

وقد عزّز هذا الموقف بقوله : " ومجموعتي الشعريّة هذه ستجدُ – على ما أظنّ – عناية بالغة من النقّاد لأنّهم سيجدون فيها مجالًا كبيرًا لإظهار براعتهم في تعداد العيوب ، مع انّي كنت قد أغضبتهم في مجموعة سابقة حين قلت (أنني لا أكتبُ للناقدين بل أكتبُ للشعب) وأنا أعرف الكثيرين من أصدقائي الأدباء يبدّلون أساليبهم الشعريّة إرضاءً للناقدين "[17]، إذن هذه كانت وجهة نظر الشاعر بأن يكون ثابتًا على موقفه القومي

والوطني في أدبِه ولا سيّما الشعر ، مع إدراكه التام والواعي بأنّه لم يسلم من ألسنة النقّاد الذين ينادون بتمثيل الذات في الشعر والتعبير عن المشاعر الخاصة ، ثمّ بعد ذلك يبدي رأيه في بعض الشعراء الذين غيّروا في أساليبهم الشعريّة وفقدوا أصالتهم الأدبية اتباعًا لذوق النقّاد وأهوائهم فقال : " ولما كانت وجهات النظر في النقد الأدبي ما تزال ذوقيّة ومناهج النقد لم تثبت بعد في قواعد واضحة فقد اضطر بعض الأدباء إلى تبديل أساليبهم مرات عديدة إرضاءً لأكبر عدد ممكن من الناقدين من غير أن يحرزوا تطورًا ملموسًا فيما يكتبون ، والكثيرون منهم فقدوا أصالتهم الأدبيّة تبعًا لذلك ، وإنّي أحبُ الناقدين واحترم آرائهم وملاحظاتهم ولكني لا أعتبرها ملزمة للأدباء بل موجّهة ، وخاصة إذا جاءت عن ناقدين لا يعتبرون آرائهم حدًّا فاصلًا ونهائيًّا بين الجيّد وغير الجيّد ، اولئك الذين ينصحون ولا يأمرون "[18] ، في هذا النصِّ نقدا ملحوظًا من الشاعر لبعض أقرانه الشعراء الذين يغيّرون ويبدلون إرضاءً للنقّاد ، فكانت نتيجة هذه الطاعة هو فقدان وخسارة الأصالة الأدبيّة وفقدان هذه الأصالة ستلقي بظلالها على الصدق الفني والشعوري عندهم ، فالآراء النقديّة بالنسبة للراويّ موجّهة لا ملزمة ، ولا سيّما النقّاد الذين لا يملكون رؤية نقديّة مدعومة بالأسس والحجج والبراهين المقنعة بل كل ما يقدّمونه هو نصحٌ وتوجيه عن طريق الذوق الذي يميّز الجيد من غيره .

ويرى شاعرنا الراويُّ أيضًا أنّ الموازين النقديّة في عصره قد ضاعت وتلاشت بسبب اختلاف مشارب الأدباء والنقّاد الفكريّة والسياسيّة والعقائديّة والتي ألقت بظلالها على الأدب ونقده ويتضح هذا في قوله : " ومن الملاحظ الآن في الوسط الأدبي أنَّ الأدباء ينقسمون إلى مدارس ، وأغلب هذه المدارس مرتبطة بالاتجاهات السياسيّة وبالعقائد ، وانقسم النقّاد أيضًا ذلك الانقسام فراح كل رهطٍ يرفع الأدبَ الذي يتلاءم مع مدرسته ، وفي هذه الغمرة ضاعت الموازين الأدبيّة الدقيقة ، وأصبح الأدباء قلقين يتهيّبون هذا الرهط أو ذاك من الناقدين ، واعتقد أنّ فترة القلق هذه ستطول إلى أن تستقر للنقد المفاهيم "[19] . يتبيّن من هذا النص إدراك الشاعر الواعي لدور النقّاد في التأثير على توجّهات الشعراء بانحراف مسارهم الأدبي ارضاءً لذوق هؤلاء النقّاد الذين حاولوا بسط ارادتهم ومبادئهم على نتاج الشعراء ، فانقاد بعض هؤلاء الشعراء لمذاهب النقّاد المتباينة مع تهيّبهم من هذه الطائفة وتلك ، أما شاعرنا فلم يشغل نفسه بتلك الاختلافات ، ولم يلتفت إلى الانتقادات التي مازالت رهينة الذوق والانطباع ولم تثبت لها الأصول والمفاهيم بحسب رؤيته.

موقفه من السياسة والاستعمار .

إنّ الانتكاسات التي مرّت بها الأمة العربيّة في نهايات القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كان لها الأثر الكبير على الأدب والأدباء ، وقد دفعت كثيرًا من الأدباء إلى التعبير عن مشاعرهم وتحديد مواقفهم ، ولا سيّما السياسية التي أصبح الأديبُ مجبولًا على التعبير عنها وبيان موقفه منها رفضًا أو قبولًا ، وقد عضّد هذا الموقف وجود الاستعمار الذي زاد من الاستبداد وتغييب الحرية ، مما ولّد صرخة نقديّة ناقمة للظلم والاضطهاد

، أنتجت صدامًا حادًّا وبصوتٍ عالي النبرة بين الأدباء والسلطات بعد تحوّلات الواقع نحو الضعف والانكسار ؛ لذلك عبّر الأدباء ومنهم الشعراء عن موقفهم الأخلاقي والاجتماعي ومن منطلق المسؤولية القوميّة والوطنية ليدحضوا كل صور الظلم والاستبداد ، فاتخذوا الشعر وسيلة للإفصاح عن هموم المجتمع ، ولسانًا مناهضًا للسياسة الظالمة والمساندة للاستعمار ، وأداة يوصلون عن طريقه كل ما عجز المجتمع عن إيصاله للبوح عن آلامهم وتقديم أحلامهم وآمالهم .

لقد أعرب الشاعر عن موقفه تجاه السلطة الحاكمة في عصره والاستعمار رفضًا ونقدًا في آنٍ واحدٍ فقال : " ماذا أصنعُ أنا وقد نشأتُ في زمنٍ صارَ فيه (الجسر) مقبرة للضحايا بعد أن كان مسرحًا للحبِّ والتّصابي ، ومغدًى ومراحًا لعيون المها بين الرّصافة "[20] ، في موازنةٍ بين الماضي والحاضر يقدم الشاعرُ نقدًا لاذعًا للسلطاتِ التي غيّرت موازين الحياة بعد أن كان المكان في زمن مضى مسرح حبٍّ وألفةٍ فأصبح مقبرةً للضحايا من المواطنين العزّلِ أو الثائرين الرافضين للذل والهوان ، لذا فالشاعر يرفض كل ما يصدر من تلك السلطات إحساسًا منه بالمسؤوليّة القوميّة والوطنيّة ، ولم يرضَ لنفسه التخلّي عن تلك المسؤوليّة ويتبيّن هذا من قوله : " فلم أكن من المتفرّجين على المأساةِ من بعيد ، بل كنتُ واحدًا من الذين مثّلوا المأساةَ من جانبها الحيّ المشرق ، ولي في ذلك فخرٌ إذا افتخرَ النّاسُ بالقيام بواجبهم في بلاد لا يؤدّي فيها الواجب إلّا القِلّة القليل "[21] ، إذن يبيّن الشاعر موقفه من ظلم الحكّام فهو الرافض والضحيّة والناقد والمفتخر في الوقت نفسه ، إذ كان له نصيب من المأساة والظلم وهذا يعدّ مدعاة فخر له لأنّها نتيجة رفضه ومعارضته وعدم رضاه على ممارساتهم ، وهذا أقل واجب يقدّمه لأبناء أمّته بعد أن أدرك حقيقة واجبه فكان لكلماته الأثر الكبير على الساسة المعنيين بنقده .

وقد عدّ الشاعر السلطة الحاكمة سلطة طاغية ويتضح ذلك بقوله : "وهل تعتبر هذه المجموعات من القصائد الوطنيّة ثمنًا لكل ذلك الطغيان الذي يعانيه الشعب في العراق ؟! أعني هل يعتبر هذا الكسب في الشعر الوطني الواقعي في العراق ؟ والذي هو نتيجة الارهاب الفكري والأدبي تعويضًا لائقًا عن كل التضحيات التي قدّمها الشعب هناك ، وإذا كان الأدب العربي قد أفاد بعض مجموعاتٍ شعريّة وطنيّة ، فهل في ذلك عزاء عن مذلّةٍ أربعين عامًا قضاها الشعب في العراق تحت حكم الإرهاب وأغلال الاستعمار الانكليزي"[22] ، يتساءل الشاعر مستغربًا من الوضع الذي آل إليه العراق بعد تضحياتٍ كبيرة وطويلة الأمد ، فلم يجنِ منها إلّا الويلات والدمار ، ولم يعوّضْ إلّا بشعرٍ وطنيّ يعكس وينقل تلك المأساة ليكون وثيقة تاريخية شاهدة على حكّام عصره وحال مجتمعه .

ثمّ بعد ذلك يعرض الشاعر آثار الثورات المتتالية التي شهدها العراق وما خلّفته من ويلات وأزمات فقال :"إنّ الشهداء قد تساقطوا في ثورة ١٩٢٠ وفي ثورة ١٩٤١ وفي وثبة ١٩٤٨ وفي وثبة ١٩٥٢ وفي الثورة القائمة الآن في العراق ١٩٥٧ ، وتزدحم سجون العراق الآن بالمعتقلين ، ويشرّد طلاب المدارس ، ويحرمون من

العلم الذي هو عماد حياتنا المقبلة ، وتفتقد الأسرُ رجالها ، وتفتقد الأخت أخيها ويُربط العراق بحلفٍ حزبيٍّ استعماريٍّ يروح ضحيّته شباب العراق ، ويُفصل العراق عن الموكب العربي ليمارس سياسة استعماريّة يفرضها عليه أعداء العروبة ، ويكون ذلك البلد العربيّ مهدًا للمؤامرات على حريّة العرب في مصر وسوريا والاردن ، كل هذا وغيره ، أيصح أن يكون بديلًا لمجموعات من الشعر الوطني ننثره هنا وهناك ، إنّني لا أستطيع المقارنة أبدًا بين كل تلك الخسارة وهذا المكسب ، ولكن هذه المجموعة الشعريّة التي أقدمها للقرّاء العرب هي جزء مفروض من هذا التعويض الجبري " [23] ، فأوضح الشاعر عن طريق هذا النص الآثار السلبية التي خلّفها الاستعمار من قتلٍ وتشريدٍ وانتشارٍ للفقر والجهل في المجتمع العراقيّ ، مما جعل شعره لسانًا رافضًا ومندّدًا لتلك الممارسات ، ليخلق صورة حقيقة تكشف خطاب المستعمر الزائف والمشوّه الذي ينادي بالحريّة والاستقلال و مراعاة حقوق الإنسان ، ومن هذا المنطلق يتضح دور الشاعر الوطني في خلق روح الحماسة ونشر الوعي ، وتأصيل الفكر الرافض الثوري ، فتوهّج شعره غضبًا وحماسًا ، واتسم بالصدّق كونه معبرًا عن قضيّة لا وسيلة للوصول إلى مكسب .

أثر السياسية والاستعمار على الأدب والأدباء من منظور الشاعر

لقد أشار الشاعر في مقدّمات مجاميعه الشعريّة إلى قضيّة التهميش التي تعرّض لها الأدباء في عصره ، ومن ثمَّ انعكاس هذا التهميش والإقصاء على نتاجهم الأدبي من تكميم الأفواه لتغييب الكلمة الحرّة التي تعبّر عن الحريّة والاستقلال ؛ لذلك سلك شاعرنا طريق التصدّي لهذا التهميش فكرّس جلَّ شعره للرفض ، والشهادة على ذلك الواقع المرير ، ونادى بالتغيير الشامل مخاطبًا العقل والوجدان بغية الوعظ والإرشاد ، فكان أدبه ولا سيّما الشعر النافذة التي يطل من خلالها إلى الجمهور منبّهًا وموجّهًا ثائرًا ورافضًا ، فقدّم نقدًا لاذعًا للسلطة الحاكمة المتخاذلة مع الاستعمار والتي قيّدت الأدباء وحرمتهم من حريّة التعبير والرأي إلّا بما يتماشى مع أيديولوجيتهم ونظامهم ، مما أدّى ذلك إلى هجرة بعضهم ، وبقيَ القسم الآخر أسير كلماته ، وقد تحدّث الشاعر عن هذه القضيّة صراحةً في مقدّماته ، ومنها دور الرقابة التي حرمت الأدباء من نشر نتاجهم الأدبي الذي يحمل روح الوطنيّة والرافض للظلم والاستبداد ويتضح ذلك في قول الشاعر "إنّ الرقابة على المطبوعات كانت قد منعت كتابي الصغير هذا قبل عامين ، فحرمتني من إهدائه إلى أرواح الشهداء ولا إخالها ستحرمني الآن بعد أن زالت الرقابة على المطبوعات ، وإنّي أقدمه للناس كما هو ، دون أن أضيف إليه ما حُذِفَ منه عند نشره في الصحف أو أنقِحَ فيه لأنّ قيمته الروحيّة التاريخيّة عندي أعظم من قيمته الأدبيّة "[24] ، في هذا النص يتضح حقيقة خلود الأدب واستمرار الكلمة الحرّة ، وزوال حكّام الظلم والطغيان ، فبعد أن حُرِم الشاعر من نشر كتابه وإيصال كلماته وأفكاره إلى مجتمع من قبل الرقابة آنذاك ، قد آنت الفرصة لنشره ، فما يهمه لا القيمة الأدبيّة الجمالية ، بل قيمته التاريخية التي تحمل روح الثورة والمبادئ والقيم الوطنية والأخلاقية .

ثمّ عزى الشاعر سبب تدهور الأدب في العراق إلى وجود الإنكليز المستعمرين الذين خلّفوا وراءهم تدهورًا وانحسارًا في موضوعات الأدب فقال : " فليست نكبة العراق أدبيًا بأخفّ من نكبته في شؤون الحياة الأخرى ؛ لأنّ الانحرافات السياسية التي سار فيها العراق منذ وضع المستعمرين الإنكليز أقدامهم على أرضه لم تُخَلّف وراءها تدهورًا اقتصاديًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا فحسب ، بل جعلت الطليعة الواعية من الأدباء يحصرون أنفسهم في نطاق ضيّقٍ من الآفاق الأدبيّة ، يصح أن نسمّيها (أدب المقاومة) وراح رهطٌ من شعراء الطليعة يضع نفسه في مقدّمة كل ثورة شعبية في العراق "[25] ، في هذا النص يسلط شاعرنا الضوء على أثر الاستعمار في تحجيم موضوعات الشعر وحصرها في اتجاه واحد بما أطلق عليه بأدب (المقاومة) الذي ظهر انعكاسًا للظلم وأداة للتعبير عن الاضطهاد وتجسيدًا للحقائق وتمثيلًا للواقع ووثيقة صادقة عن التاريخ ، وهذا الاتجاه الذي سلكه الأدباء آنذاك لم يكن مأمون الجوانب ، بل دفعوا ثمنَ ذلك حريّتهم واستقرارهم ، بل حتى حياتهم كانت هي الأخرى مهدّدة إذ مات بعضهم في السجن ، ونُفيَ آخرون ، فكان الراويُّ شاهدًا على ذلك ونقل تلك الأحداث والمواقف ومنهم الرصافيّ الذي طالته يد الظلم والاستبداد فأخبر عنه بقوله : " وكان لغضبِ السلطات على الشعراء قصص طويلة تستنفد حياة الشعراء بقصرها وطولها ، ولعلّ حياة الشاعر الرصافيّ أصدق تعبير عن كل ذلك ، فهذا الشاعر الذي كان يومًا ما أستاذًا للأدبِ في دار المعلمين العالية ثم أصبح نائبًا في البرلمان العراقي ختم حياته بالموت على الحصير ، فأصبحَ أسطورة تتغنّى بها الأجيال الأدبية في العراق ، وما تزال ذكراه تفزع الحاكمين بأمر الاستعمار هناك .. وسيظل الرصافي يرهب أعداءه بعد موته كما أرهبهم طوال حياته ، وكفاه ذلك مجدًا "[26] ، إذن كان الرصافيّ ضحيّة للساسة والاستعمار وأصبح شهيد الكلمة الحرّة الناطقة بالحق الرافضة للظلم والتهميش ، فكان لكلماته وقع كبير قد هزّت كيان الطغاة ليس في حياته فحسب ، بل حتى بعد مماته بَقيَ اسمه يرهبهم وكلماته الصادحة بالحقّ شاهدة على خيانتهم وتواطئهم .

ولم يكن الرصافي ضحيّة الاستعمار والسلطات فحسب ، بل عقبه (صالح بحر العلوم) أيضًا الذي كان هو الآخر سجين كلماته وصوته الصادح باسم الاستقلال والحريّة ، وقد أخبر عنه الشاعر بقوله : " ولم تمض سنوات على وفاة الرصافي إلّا وكان الشاعر صالح بحر العلوم قد دخل السجن في عام ١٩٤٨ ولم يغادره إلّا شهورًا معدودة كان يشكو فيها الصّرَعَ ، فلما استعاد عافيته أُعيد للسجن ولم يغادره حتى هذه اللحظة "[27] ، نجد شعراء آخرون قد ألقوا في غياهب السجون خشية تأثيرهم على الجمهور وتأجيج الثورة ، فذكر مجموعة منهم وجاء ذلك في قوله : "وكلما تأزّمت الظروف في العراق تقتاد السلطات الحاكمة مجموعة من الشعراء إلى المعتقلات خشية تأثيرهم أدبيًّا في الاندفاعات الثوريّة ، منهم الشعراء : غربي الحاج أحمد ، ومحمد مهدي الجواهريّ ، وبدر شاكر السيّاب ، وعبدالوهّاب البيّاتيّ ، وكاظم جواد ، وعلي الحلّي ، وكاظم السماويّ ، وعبدالهادي الفكيكيّ ، ورشيد ياسين وغيرهم ، ومن هؤلاء كثيرون اجتازوا الحدود العراقيّة راغبين أو مكرهين فرارًا

من نقمة السلطات ويحاولون أداء واجبهم الأدبي في محنة العراق الحاضرة "[28]، ليعبّروا في شعرهم عن ضنك العيش والتغير الذي طرأ على الناس بسبب تغيير الأحوال ، لذلك أخذوا على عاتقهم نقل تلك المعاناة وبث الشكوى ، والكشف عن الظلم وفضح المقصرين والخائنين[29]

وقد أشار الشاعر بعد ذلك صراحة إلى أثر السياسة على الأدباء فقال :" وقد كان للأوضاع السياسية في العراق من قبل تأثيرها على الشعراء بحيث اضطر شاعران هما عبدالمحسن الكاظميّ وأحمد الصافي النجفي إلى مغادرة العراق ، وتُوفِيَ الأول في مصر الجديدة، وما زال الثاني يعاني الحرمان وقسوة المصير بين دمشق وبيروت ، وكل هؤلاء الذين عددهم نماذج حيّة صادقة لمعاني الاضطهاد الفكري والأدبي في العراق بمختلف الأدوار ...ومن هنا يُعرف لون الأدب الذي يضع هؤلاء الشعراء أنفسهم في نطاقه ، وأسميه (أدب المقاومة) ولعلّه هو نفسه الأدب الواقعيّ المنشود في العراق "[30] ، إذن كان الأدب المطالب بالحريّة والمنادي بالحقوق سببًا لإيذاء أصحابه سواء أكان شعرًا أم نثرًا ، مما عرّضهم للسجن والنفي والاغتراب حتى لقوا حتفهم في ديار الغربة بعيدًا عن الأهل والأحبة ، لكنّهم مع ذلك صابرين صامدين مقاومين رافضين ومحفزّين ، ليأخذوا دورهم في المجتمع إحساسًا بالمسؤولية الوطنية والدينيّة والأخلاقيّة ، ليكون شعرهم مرآة تعكس صورة المجتمع وأحواله[31] .

ثم تطرّق الشاعر إلى قضيّة أدبية ونقديّة تعرّض لها الشعراء في عصره حصلت تحت تأثير السياسة والاستعمار ، إذ استعملوا أسلوبين في معاملتهم للشعراء للنيل من هممهم وأهدافهم فقال : " وللحكومة في العراق بتأثير من سياستها الاستعماريّة ، أسلوبان في معاملة الأدباء والشعراء هما : الإرهاب والإغراء ، ونحن نسجل هنا هذه الظاهرة في هذه المقدمة لتكون مثارًا للبحث في الواقع الأدبي إنّها ليست مشكلة فردية أعرضها على القرّاء في مقدّمة قصائدي ، ولكنّها ظاهرة في الواقع الأدبي في العراق على وجه التخصيص ، وهي تطبيق لحكاية (ذهب المعز وسيفه) تمتد عبر القرون ، وعندما تستقيم الحياة في المجتمع العربي لن يكون لذهب المعز سلطان ولا لسيفه حد "[32] ، إنّ الأسلوبين الذين اتخذتهما السلطة في العراق ضدّ الأدباء يظهران مدى أثر الأدب على السياسيين والمستعمرين مما حاولوا التخلّص منهم بإحدى الطريقتين إمّا اغراءً بالمناصب والقرب والجاه والمال ، أو الإرهاب بالقتل والسجن والنفي إذا لم ينصاعوا إليهم بالمغريات والهبات .

لقد أوضحت الآراء السابقة رؤية الراويّ النقديّة واتجاهه الأدبيّ ولا سيّما الشعري منه ، فكل ما ذكره من آراءٍ هي دالة واضحة على التزامه بقضايا الأمّة العربيّة ، فكانت أحداث العراق الحافز الأساس لثورته الأدبيّة والنقديّة والباعث الرئيس للبوح عن أفكاره ورؤاه ، غير ناسٍ في الوقت نفسه أحداث وأحوال الشعوب العربيّة معبرًا عنها بمشاعر صادقة تعرب عن عروبته الأصيلة .

المحور الثاني : الالتزام في شعر عدنان الراوي

إنّ قضيّة الحريّة والاستقلال التام وتحقيق العدالة الاجتماعية كانت الشغل الشاغل الذي حرّك مشاعر الشعراء واستوطن وجدانهم ، واستحوذ على تفكيرهم وتوجهاتهم ، فألزموا أنفسهم وتعهدوا بالدفاع عن قضايا الأمّة العربية والسعي إلى توحيد العرب رأيًا وانتماءً وهمّةً ودفاعًا من أجل التحرر والاستقلال ، لذلك كانت الأمّة العربية في عيون وضمائر الأدباء ولا سيّما الشعراء القوميين ، فَطَغَتْ نزعة الالتزام على الشعر منذ منتصف القرن العشرين واستمر مع استمراريّة ووجود الاستعمار والظلم والطغيان وتهميش الآخر ، وعن طريق الإحساس بالمسؤوليّة أصبح النقد والمعارضة مهمة الأدباء الرئيسة من أجل رفع الظلم والحيف واحترام حقوق الإنسان وتعزيز الوعي الذاتي والجماعي ، فكان شاعرنا الراويّ من طليعة شعراء عصره الذين عُنُوا بهذه القضيّة وأبرزوها في أدبهم ولا سيّما الشعر ، بل نجده قد كرّس جلّ شعره لهذه القضيّة _ قضيّة الأمّة العربيّة – فجعل وطنه العراق نبراسًا في شعره تغنى به فخرًا واعتزازًا ، وكان مدعاة لألمه وحزنه ولم يغفلْ القضيّة الفلسطينيّة وظلم الصهاينة لهم مُعَرِّجًا في الوقت نفسه على أحداث مصر وسوريا ولبنان وتونس .

لذلك أصبح الشعر القومي الحقيقة الدالة المعبّرة عن وجدان المجتمع وأفكارهم " وتصوير اتجاهات الشعوب العربيّة ومنازعها برغم أنّه قد لا يجري التاريخ في مدى إحاطته ، ودقّة تسجيله ورصده لأحداث المجتمع ، ومبلغ تقيده بالواقع المحسوس ، إلّا أنّ الفنَّ وحده هو القادر بأداته المعبّرة عن التجربة الإنسانية الداخلية أن يُبرز غور النفس وينقل انطباعاتها وتأثراتها بالعالم الخارجي بعد أن تتفاعل معه "[33] ، ومن هذا المنطلق كان شاعرنا الراويّ حريصًا على نقل تجارب ومعاناة المجتمع العربي ظلمًا وقهرًا ونضالًا انتصارات وانتكاسات ، فاتخذ شعره الطابع القومي ، واتسم بنزعة الالتزام الموضوعي والفكري والوجداني ، والجدير بالإشارة أنّ الشعر القومي أو الوطني لم يكن غرضًا مألوفًا عند شعراء العرب قبل القرن التاسع عشر ، إذ أنّ مفهوم الشعر عندهم بقي في دائرة ما توارثوه من الأغراض الشعريّة التقليديّة ، إلّا أنّ الشعر القومي في العصر الحديث لدى عددٍ من شعراء مصر والشام والعراق قد أصبح بمثابة الشعر الحماسيّ الذي عُرِفَ عند العرب قديمًا ، والباعث في ذلك هو الظروف السياسيّة التي كانت تحياها مصر تحت وطأة الاحتلال الانكليزي ، والشام والعراق الداخلتين في نطاق الحكم العثماني ، فوجود الأجنبي كان الحافز الأساس والرئيس لتوجّه الشعراء نحو هذا الغرض[34] .

أولا : شعره الوطني

أخذت أحداث العراق وقضاياه جانبًا كبيرًا من شعر عدنان الراويّ من معاهداتٍ وثوراتٍ وانتصاراتٍ فضلًا عن التغني بربوع العراق والاعتزاز بحضارته واسترجاع أيّام زهوّه واستقراره ومقارنته مع حاضره المرير ، ولأنّ الإنسان مجبولٌ على حب بيئته ووطنه فينشدُّ إليه حبًا واعتزازًا وفخرًا ، فإنّه سيدافع عنه ويكافح بكل ما يستطيع لدفع الشرّ والخطر عنه[35] ، ولذلك فإنّ للشاعر الحق بكونه إنسانًا وفنانًا أنّ يُخلص لواقعه الاجتماعي باعتباره واعيًا الوعي الناضج لما يدور حوله ، راصدًا بحدقته الثابتة أنواع الصراع حوله متحملًا مسؤوليته بأمانة وصدق على

أن تكون هذه المسؤولية وهذا الإحساس نابعين من وجدانه الشاعريّ[36] ، ومن أمثلة ذلك قصيدته التي جاءت بعنوان (الوطن المهجور) متسائلًا فيها عن حاله وما آل إليه العراق ومنها قوله :

لمن أنا ؟ للسعـــد أم للشقاء للـذل أحيا ، أم لعـــزٍّ عظـيم
أين أنا ؟ أبيْنَ قـــــوم عبيد أم بـــين أحـــرار أُبـــاة كـــرام
وتلكم الأجداث طيّ اللحـــود أرواح أجدادي فـــي ذي العظـام
تستعذب النـوم ترى أم تعود فيرجـــع المجـد بهـا والمقـــام
حرٌّ أنا يا قلب أم فـــي قيود والغد حربٌ أم غـــــدٌّ للسلام[37]

يبحث الشاعر عن ذاته وعن وطنه بين الماضي والحاضر عن طريق مقارنة حال العراق بين الزمنيين ، إذ أفضى النصّ عن مجموعة من المقابلات أجراها الشاعر معبرًا عن طريقها عن ضياعه وفقدان ذاته ، هل هو سعيد أم حزين ؟ ، وهل يحيا للذلّ أم لعزٍّ منتظر ؟ ، هل هو بين قوم أحرارٍ في السيادة والعيش أم بين قوم أصبحوا عبيدًا للحكّام والاستعمار ؟ ، وهذا العذاب والألم قد نال أرواح الأموات من الآباء والأجداد الذين استعذبوا النوم في القبور بعد أن عَلِمُوا حال أبنائهم ، فإن عادوا فسيعود المجد والعزّ ، أمّا الغد مجهول عند الشاعر هل هو حربٌ وقتل ودمار أم سِلمٌ وأمن واستقرار؟ ، إنّ التساؤلات والصرخات المؤلمة التي أطلقها الشاعر ما هي إلّا بوحٌ عن كبت وصراع نفسي مؤلم كابده الشاعر في واقعٍ مرير وقاسي .

وفي قصيدته (وطني بين الماضي والحاضر) قارن الشاعر بين ماضي العراق المشرق بالازدهار والسلام والحاضر المظلم بما يحمل من مأساة يواجهها المجتمع ، إذ عكست هذه القصيدة لوحاتٍ شعوريّة ذاتيّة تمثل معاناة جماعيّة ، مستعرضًا فيها مشاهد وصور لنهر دجلة أيّام مجده وعزّه ، فالقصيدة قد استعادت الماضي وساءلت الحاضر من أجل الخلاص والوصول إلى مستقبلٍ مشرقٍ ، ومنها قوله :

قِفا علـى دجلةٍ نشـدو أغانينـا قِفا فـإنَّ الأسـى يطـوي لياليـنا
قِفا خليليّ نسقي النور من قدحٍ بالدمعِ ، قـد فاض كي يروي أمانينا
قِفا على الشطِّ فالنخل الكئيب غدا يحصي مع الموجِ آمالًا ، ويحصينَا
قِفا على الشطِّ فالنخل الذي بعثَتْ بـــه الدهـور وجيع الظّل يدعـونا
فكـم علـى الشطَّ أجداد لنا هتفوا لحـون مجـدٍّ تركنا روضه طيـنا
وكم على دجلـــة السمراء بات لهم سمّـار ليـلٍ حسبناهـم شياطيـنا
وكـــم حديـثٍ طلـــيٍّ قـــد تبـادلـه عشّـاق بابـل عـن أشواقهم حينا
ترى ، وكم شاعرٍ غنّـى قصائـــده يبكي الحبيب ، ويستبكي الرياحينا[38]

نلحظ في النصّ مقابلة شعوريّة بين ماضي السعادة وحاضر الأسى ، فوقف واستوقف وبكى وأبكى وهو في ذلك مقلدًا ومجددًا في آنٍ واحدٍ ، قلّد في افتتاحيّته للقصيدة بالوقوف على أطلال دجلة بكى وأبكى خليليّه وساءلهم عن مجدِّ الأجداد وعن أجواء دجلة في ماضٍ كانت فيه ملتقى الأحبّة ومكان الأُنس والراحة ، وجدّد موضوعًا إذ إنّه بثَّ حزنًا عميقًا في ثنايا كلماته عن وطنه (العراق) ، فالصورة المتشكلة من هذه الأبيات تستدعي إلغاء الحاضر واستحضار الماضي ، والحزن والفقد هما القاسم المشترك بين الوقوق على الأطلال قديمًا ووقوف الشاعر على ضفاف دجلة باكيًا ومبكيًا ، فالشاعر الجاهلي وقف على أطلال ديار الأحبّة باكيًا وحزينًا ومشتاقًا بعد أن هجر أهل الأحبة الديار وخلّفوا له الذكريات المؤلمة ، أمّا الراويّ فقد وقف باكيًا ومتسائلًا عن ماضي العراق الذي جعل دجلة معادلًا موضوعيًا عنه ، فالباعث للوقوف والبكاء هو فقدان ماضٍ كان ينعم فيه نهر دجلة بالأنس والسعادة والعزّة والأمان .

وفي قصيدته (السكوت) ينتقد الشاعر سكوت الشعب وقبولهم للذّل والقهر فقال :

شعب يجوع وبلاده قيعان ظامئة التـــــــــراب
وله الدمــوع ولــه السّياط المثقلات مــن العــذاب
قالوا : الفرات
فيه الحيـــاة
وهو الربيع ما ضـــــرَّ لو يسقي الصّحارى اليابسات
تلك الزروع بالمـــاء تحلـــم صُبحـها والأمسيـــات
أين المياه؟ !
أين الرفـاه؟!
أين الرغيف؟! والخبـز يسرقه الطّغاة مـــن الشفـاه
وَهمٌ لطيـــف أن نطلب الحقّ المضـــاع مـــن الإلـــه
ولنا الجموع
بأسٌ فظيع
في الانتقام وتظـــلّ دجلة فـــي مسالكهـا تضيع
نهرٌ حـرام يجري إلى البحر العظيم مـــع الدموع
والظالمون
لا يعملون
أين المصير ماذا يريد الظالمـــون المنعمون؟!

ذلٌ خطـــير والنّاس يدرون المصير ويسكتون[39]

في هذا النص وجّه الشاعر نقدًا صريحًا لا كناية فيه للمحكومين الذي عَلِموا الظلم والاستبداد من اغتصاب ونهبٍ للخيرات من قبل الحكّام لكنّهم بقوا في خنوعهم واستسلامهم مع ما يلاقون من جوعٍ وذلٍ وهوان ، لذلك قصد الشاعر في نقده الحكّام لظلمهم وطمعهم وجورهم، وللمحكومين

ليفيقوا من غفوتهم وليقهروا خوفهم وسكوتهم ، ونقده للشعب هو نقدٌ بنّاءٌ يرجوا من ورائه اليقظة وشحذ الهمم ، فكانت كلماته نفثة من روحه الرافضة والناقمة تجلت فيها مرارة اليأس من الواقع المزري مع سكوت الرعيّة وعدم مبالاتهم .

وقال أيضًا مخاطبًا الشعب العراقي مستنهضًا للهمم منبهًا ومنتقدًا :

على مَ تنوح ؟

وتطوي الجروح

ومثلك شعبٌ أبيّ طموح

يُهِدّ الصّروح ويبني صروح

أيقنعك العيش فوق الحصير؟

ويؤويك في الليل كوخ حقير

وأغلالك السّود مثل القبور

ويرضيك أنّك شعبُ فقير

وتركضُ في الصّبح خَلف السعير

إلى لقمة الخبز .. بئس الطموح

ومثلك شعبٌ يُهِدّ الصروح

ويبني صروح

على مَ تنوح ؟[40]

يفضي النص عن وعي الشاعر التام بأنّ الشعب هو مصدر القوّة والحصانة والمناعة ، لكنّه رَضيَ العيش في ذلٍ وفقرٍ ، مع إنّه شعبٌ قويٌّ أبيٌّ كريم ، وهذا ما جعل الشاعر يتساءل عن سبب الخنوع والسكوت والرضا بمثل هذا الحال ، لذلك صكّت كلماته القاسية الأذان ، وزلزلت الأذهان والنفوس الغافلة ، أملًا في يقظتهم ، لنيل الحريّة المغيّبة ، والظفر بمستقبلٍ أعزُّ من الحاضر ، ولتحقيق مسواة قد وُئِدَتْ ، ووحدةٍ قد فُقِدَتْ ، وعِزٍّ قد انتُهِك ، فالشاعر ينادي بحياة كريمة للشعب ولا يتحقق ذلك إلا بالثورة فما أُخِذ بالقوّة لا يستردُّ إلّا بالقوّة .

ومن قصائده الوطنيّة هي (المعاهدة العراقيّة – البرطانيّة) التي عبّر فيها عن رفضه لتلك المعاهدة ، فالراويّ لم يكن بمعزل عن حياة العراقيين القاسيّة المؤلمة التي كابدوها بسبب جور الحكّام والاستعمار، فإحساسه المرهف جعله يتألم لما كان يتعرّض له أبناء بلده ، فترجم هذا الإحساس إلى شعرٍ انتقد فيه تلك الممارسات، فلا يختلف شأنه في ذلك عن أقرانه من شعراء عصره الذين اتخذوا من الشعر "صورًا متعددة للتعبير عما يعانيه الناس من قلق ومن شعور بالظلم والاضطهاد"[41] فلما عُقدت هذه المعاهدة وما نتج عنها من ظلم وقهر وأذى قد لحق بأبناء شعبه ، وقف رافضًا وناقدًا وواصفًا لتلك المعاناة إذ قال :

يا(أختَ سكسون) مـــا قلبي بساليك كيـــــف السُلوّ وفي قومـي مآسيك
كـيف السّلوّ وفـــي الأوطـان مهزلةٌ يُقيمهـا نفـــرٌ هـــــم مـــن مواليك
لا تحسبي أنّني المفتون فيـك هوىً أو أنَّ شـــوقًا يـــنـاجينـي فأبكـــيكِ
بل إنَّني (الظلم) أبكي لا الهوى ولقد علقـــــت كالواله المسحـــورِ أدعـوكِ
إن كـان سَعْـدُكِ فـي ذُلٍّ يـرُادُ لنَـا وكـــان عزّ بنـي قحطـــان يُشقـــيكِ
فلتعلمـــي أنّني الشاكي أقول : متـى (يا أُختَ سكسون) في ذا الدّهر أرثيكِ
إذ ذاك أضحك مـلء القلب منطلـقًا فقـــد غـــدوت عزيـزًا غير مملـــوكِ[42]

تُظهِر الأبيات سخط الشاعر من المعاهدة التي ألقت بظلالها على الشعب العراقي ظلمًا وجورًا ، فقدّم عن طريق كلماته نقدًا لما جاء في هذه المعاهدة من بنود قد صادرت حق العراقيين وقيّدت حريتهم ، فضلًا عن انتقاده للموالين للإنكليز .

وقد تغنى الشاعر بالجيش العراقيّ الباسل مفتخرًا ببطولاته ومواقفه الشجاعة تجاه وطنه العراق ودفاعًا عن الأمة العربية ولا سيّما فلسطين إذ قال :

أبا السيف (يا جيش العـراق) عـزيزة مـــن النفس تأبى أن تصارحـك الهما
ففي القلـب آمـــالٌ تجيـش إذا بَـدَتْ طلائـــع جُندٍ منـك قد أضرموا عزمـا
تساموا فكـان الجـو بعـض مطافهـم وكـان نشد المجـد فـي ثغرهـم نغما

....

هـــم الجند جنـد الله في حومة الـوغى إذا ما رمـى الأعداء في أرضهم سهما
هـــم الذائـــدون الصيد عـن عزّة الحمى فلـــم يرتـــضـوا ذُلًا عليـــه ولا ضيـــما
وما غنموا مـــن ساحـــة غـــير نصرهم ومـــا غرموا غـــير الدمـــاء بهـــا غرما
ولـــم يستكينـــــوا للمـــذلّـــة ساعـــةً ولـــم يعرفـــوا للـذّل فـــي عيشهم إسما
هـــو الجـيش روحٌ للبـــلاد وســـاعـــدٌ إذا مـــا وَهَى قلنا : البلاد غَدَتْ عدما[43]

لقد حمل النص مشاعر الفخر والاعتزاز بشجاعة الجيش العراقي وصلابته وصموده وعزّته ، مصرحًا في الوقت نفسه بمكانته وأهميّته ، إذ هو سور الوطن وصمام أمانه ، فلم يرضوا الذلّ لشعبهم ، هم الذائدون عنه إذا حلّ فيه الخطر ووقع عليه الحيف الظلم ، فبقاء البلاد وعزّها مرتبط ببقاء الجيش وقوّته ، معرّجًا في الوقت نفسه على موقفه مع فلسطين تجاه الاحتلال الصهيوني قائلًا في القصيدة نفسها :

فلسطين (يا جيش العراق) وجيعة تصيح ألا يا ابن العراق ارفع الضّيما

فإن كــان حلمًا مــا أُريــد فـربّمــا يكون مقــال الفَصْلِ مــا خِلْتَه حلما[44]

ثانيًا : شعره القوميّ

بعد أن ضعفت الأصوات السياسية المناهضة للنكبات العربيّة في بدايات ومنتصف القرن العشرين وعجز الفكر السياسي عن حل تلك المنعطفات ، حَملَ تلك المسؤوليّة الأدب تنديدًا ونقدًا ورفضًا وتوعيةً ولا سيّما الشعر[45] ، الذي أخذ يتطور مضمونه الفكري من التمرّد الرافض للغربة والتعبير عن مشاعر الحزن الميتافيزيقيين إلى الثورة والتمرّد الرافض للظلم والتوجّه نحو القيم الثوريّة[46] ، ومن هذا المنطلق فقد سيطر الواقع السياسي والاجتماعي للأمّة العربية على مشاعر الراويّ فبثها في شعره ، وبعث هذا الواقع عنده روح الحماسة والاندفاع نحو التحرر والوحدة ، فكان الشاعر يدرك هذا الواقع ويتحسس تلك المشاعر ، ويتضح ذلك عن طريق تواجده الفاعل والمتتبع لأحوال وأحداث الأمة العربية ، ومن ذلك نقله لمناسبة احتفال لبنان الشقيق في عيد التحرير بعد جلاء قوات الاحتلال عن أرضه في عام ١٩٤٧م أرسل الشاعر قصيدة إلى رئاسة لبنان رثى فيها شهداء الطائرة العراقيّة التي سقطت بعد أن اصطدمت في الأرض واستشهد ركّابها جميعهم ، فاختلطت المشاعر في القصيدة بين الفرح والتهنئة بعيد النصر وبين رثاء هؤلاء الشهداء فقال :

راحـت تحيّي بعيد المجد لبنانا وتسمع الكون عــن ذا العيد ألحانا

راحت لتهتف في العلياء منشدة تهاني القلب عــن أبنـــاء بغدانا

عيدٌ بلبنان هـــزَّ القومَ قاطبة حتى غــدا شيخنا في العيد صبيانا

وقد غدَت دجلة من فرط فرحتها نَشْوى تُهَلهِل أمـــواجًا وأغصـانا

....

جئناك لبنان عن شوقٍ وعــن ولهٍ نطوي السماء ونهدي من تحايانا

لكنّ جنحًا لنا قد هِيضَ فانقَضَضَت منا القلوب كــأنّ الموت يهـوانا

جئناك كالطير نهدي فرحــة ولقــد غَــدَت هديتــنا أرواح قتـــلانا

نعـــم الهديّة يــا لبنـــان نبعثها فقد تخذنا هوى الأوطان إيمانا[47]

تعبّر الأبيات الشعريّة عن روح قوميّة اتسم بها الشاعر فصرّح بها وكشف عن مدى الحبّ والتآخي بين العرب متمثلًا بموقف بلده العراق الذي أرسل ممثلين عنه ينقلون فرحة شعبهم للانتصار الكبير والاستقلال المبجّل ، فلا شكّ أنّ هذه القصيدة مثّلت موقف العراق فعلًا وقولًا وشعورًا تجاه أخوانه في الأقطار العربيّة الأخرى ولا سيّما لبنان ، فهي نزوع مبكّر صدر من الشاعر تعبيرًا عن الوحدة العربيّة ، فجعل نفسه وشعره تضحيةً ووقودًا للثورات العربيّة المناهضة للحكّام وفساد الأحوال والمطالبة بالحقوق المسلوبة .

وقد استمر الشاعر بنظم شعره تترى تغنيًا بالعروبة داعيًا إلى الوحدة والاستقلال لتعانق هذه الكلمات صيحات الثوّار والأحرار في أرجاء الأمّة العربيّة جميعها ، وقد قام الشعر بتحريك الوجدان الجماعي وتكوين الحسّ المشترك للأمّة العربية، إذ تفاعل الشعراء مع كل ما يجري من أحداث في مجتمعهم فسجّلوه في شعرهم[48] فقال :

أنا مؤمن أنّ العروبـــــة أمــة تــبغــي الحيــاة ولا تريــد زوالا
أنا مؤمن أنّ العروبة موطنٌ (فــرد) وليــس مقطّــعًا أوصــالا
ولقد نذرت دمي فداء حياتها في العزّ لـــــن أرضــى لهــا إذلالا
سأطارد المستعمرين مجاهدًا أنا لن أخالف (منهجي) مثقــالا
كم قــد أنام الأجنبي بأرضنا يبلي الجدـــيد وينـــبش الأطلالا[49]

لقد أسفر شعر الراويّ عن صدق انتمائه العربي وذلك عن طريق إحساسه بقضايا أمته والتعبير عنها بمشاعر ملتهبة وأحاسيس صادقة فغدا شعره " غذاءً روحيًّا وصوتًا مدويًّا قوّى أواصر الأخوّة بين أبناء العروبة ، وأشعرهم بشرف قضيتهم ، وحثّهم على التضامن وعدم الفرقة والاختلاف ودعاهم إلى اليقظة والنهوض"[50] ، وهذا تعبيرٌ عن حبّه الكبير للعروبة ودليلًا على صدق انتمائه لذا نبضت أشعاره حياةً وحريّة واستقلالًا واعتزازًا وفخرًا .

وفي قصيدة (الجامعة العربية) أعرب الشاعر عن أمله في اتحاد الدول العربية تحت لواء واحد وترك الضغائن وبث روح التآخي ، فكانت هذه المشاعر والأمنيات هي الرسالة التي حملها الشاعر وسعى إلى نشرها بين أبناء المجتمع العربي ، فما أُخِذَ بالقوّة لا يسترد إلّا بالقوّة ، فالشاعر لا بدَّ أن يستوحي مضامين أعماله من بيئته وظروف مجتمعه ، متأثرًا بأحوالها مشيرًا إلى نقاط الضعف والقوّة فيكون أكثر إدراكًا وحسًّا من غيره[51] ، ومن ذلك قوله :

بانت ولـــو عطفت لهان ضمـــاد هـــي ثـــــورة لا فاطـم وسعــاد
بانت وهــذا القلــب فـــي جنباته نـــــــارٌ ومـــا للنّـار فيه رمـــاد
هي ثورة لو عـــــاد يـــــوم نفيرها عَلت السيـــوف وهبّت الآســاد

أوّاه لكـــنّ الضمائر قــد وَهَــت والجـــرح فيهـــا أنْ يطيب رقــاد

....

يا يــوم تجتمع العروبـــة كلهـا بسيوفها والسيــف نعــم الــزاد

والـــداء ذل نشتكيـــه لبعضنا (مصر) تقاسمها الأسى (بغداد)

والقدس يعصرها السقام وداؤها مـــا فـــي العراق مذلة وســواد

وعدونا الممقوت ظلمه واحـــد فيـــــنا ونحـــــن لظلمه آحاد

فإذا تجمّعت السيوف وضمّها أمـــــــلٌ تجـــدد بأسنا الوقّاد

فالجمع بأسٌ والتفرّق مقتــلٌ فيـــه لسهـــم الطامعــين مــراد

كم قد زرعنا الأمنيات بأرضـنا فإذا التفرّق والشّتات حصـــاد[52]

أطلق الشاعر عباراتٍ لاهجة بالوحدة والحريّة ، إلّا أنّ كلماته قد توهّجت حزنًا وألمًا على حال الدول العربيّة في تلك الآونة ، فتعانقت مشاعره الوطنيّة والقوميّة في القصيدة لتكون رافدًا رئيسًا في إلهاب المشاعر وتأجيج الثورات وتغذية حركة المقاومة ، فضلًا عن الدعوة إلى الوحدة وجمع الشمل من أجل إعلاء صوت الحق ، والملاحظ أنّ شاعرنا الراويّ رأى أنّ الأقطار العربيّة أصبحت شتّى فلا بدّ لها أن تتحد بعد أن جزأها الاستعمار ولا بدّ لها من العودة إلى سالف عهدها ، فالجرح إذا نزف في فلسطين فإنّ الدّم يسيل في مصر والعراق واليمن والشام ، ولهذا أدرك الراويّ حقيقة النضال هو لغة الإنسان ومشاعره ، إذ إنّها قضيّة فكريّة وقوميّة مرتبطة بمصير مشترك ، فالشعب المُضطَهَد واحد والمُضطَهِد أيضًا واحد ، فلا تكون النتيجة إلّا واحدة هي النضال المشترك الموحّد ضد المعتدين[53] .

وللقضيّة الفلسطينيّة نصيبٌ من شعر الشاعر فقد ذكرها في ثنايا قصائده ، والتي تُعد من القضايا المهمة والمهيمنة على الواقع العربيّ المعيش ، والمترسّخة في وجدانهم بما تحمله من آلام الهجرة المؤلمة والأرض المغتصبة والحقّ المستلب والدعوة المستمرة والمتفاعلة بالعودة[54] ، وقد أفرد لها قصائد ومنها قصيدته التي بعنوان (فلسطين ضحيّة الحريّة) فقال :

حسناء ، من أفق الحياة الدامي صبَغـــت غلالة ثغرِها البسّامِ

ذبحوا القلوب على هياكلها وكـم حزّوا الرّقاب وطوّحـــوا بالهام

هـــي خمرة العرب التي تخذوا لها كأسا من الأمل البديع السّامي

هوت الحيـــاة عزيـــزة فَتَخَضَّبَت منها السّواعـد بالنجيع الهامي

هتفـــوا لها فإذا بدجلـــة منشـدٌ لحـــنًا تـــردّدهُ ذَرى الأهـــرامِ

الروح دونك يـا مقدســة الثـــرى فخـــذي السيوف لفكّ كل لجـام

فإذا قباب المسجد الأقصى دَعَت أشبـــــــال يعرب يَمّموا لحسامِ[55]

حملت هذه الأبيات روح الحماسة المندّدة للاستعمار ، وعَلَتْ فيها صيحة العروبة الرافضة للظلم والاستبداد ، كما عبّرت هذه الأبيات عن عناق أصوات العراقيين مع أصوات إخوانهم المصريين الذين هتفوا بالاستقلال والتحرّر ونبذ الاستعمار، فقد شكّلت القضيّة الفلسطينيّة محورًا رئيسًا ومتجذرًا في وجدان الشاعر ، فعبّر عنها بكل ألم وأسى وبشعور حزين ممزوج بالدموع ولوعة القلب ، وبحرفٍ يتوهّج حزنًا ليحفّزَ القلوب والأذهان الغافلة والمتغافلة لاستنهاض الهمم من أجل استرجاع الحقوق ، فالقضيّة الفلسطينيّة هي قضيّة الأمّة العربية كلّها ، ومصير شعبها وهمومهم هي همّ الشاعر ، ومن منطلق الإحساس بأهميّة هذه القضيّة توجّه الشاعر إلى العرب مذكرًا ومحفزًا لأنّ نهضتهم وانتصارهم مرتبطٌ بوحدتهم .

وفي سياق الحماسة التي بثّها في شعره ومناداته باستنهاض الهمم للدفاع عن الأمة يستفهم الشاعر مستغربًا من الوضع المعيش ، فإنّ العرب يملكون كل مقومات القوة والمنعة غير أنهم يعيشون في ذلة وخنوع ، وفي تساؤله هذا أراد الشاعر تنبيه الشعوب العربية إلى ما يمتلكون من قوّة وقدرة على الاستقلال محاولًا شحذ هممهم للوقوف بوجه الظلم، إذ قال في موشحةٍ:

فقولـوا مـا هـــو الـداء
فـــأين العــزّ والمــجــد؟
ولـــــــــي قيـــــــد
أنـــــــا العـبـــــد
لنـــا السّاسة والدولـــة لنا الجَولـــة والصّـــولة
لنا القـــدس لنا القبلة لنا النّفـــــط وما حوله
ونحـن اليــوم فـــي ذلّـــة
فأيـــن العـــزُّ والمـــجـد؟
ولـــــي قـــــيـــــدٌ
أنـــــا العـــبـــــد[56]

فالضعف والذلّ والتشتت واقع حال العرب مع امتلاكهم القوّة والصولة والكلمة ، فضلًا عن أنّهم أهلٌ حقٍ مغتصبٍ ، لكن هُم في ذلّة بعد مجدٍ وعزّة ورفعة شأنٍ ، فلا بد لليقظة والسعي نحو التحرر والوحدة ، فالشاعر عن طريق هذه الكلمات الموحية بالنقد والسخط عمد إلى إثارة موجة من الغضب لدى المجتمع مبرهنًا لهم بأنّ الكبت والصمت لا جدوى منه في الحصول على الحقِّ المغتصب والحريّة المفقودة، إذ يرى أنّ السكوت وعدم المطالبة ما هو إلّا إضاعة للحقوق وعدم نيلها، فالراويّ في هذا النّص طالب الشعوب بشحذ الهمم وإضرام الثورة

ضد الحكّام الفاسدين والطغاة المستعمرين متخذاً من شعره وسيلة مؤثرة على الممارسات السياسيّة المتبعة من السلطات آنذاك[57] .

ومن شعره القوميّ رباعيته :

ركـــب الليـــــل إلـــى الثّورة ، والمجـد حداؤه
وأظـــلّ الرّكـــــــب بالعـــزّة ، والسّيـــف رداؤه
واستشـــار الرّمـــــل للنجـــدة ، والصّولـــة داؤه
جمّـــع العُرب ، وحـــق العُرب فـــي الزحف نداؤه

* * * * * * * * * * * * * * * * * *

مـــن (حجاز) الأرض (للغوطة) ناداه الجهـاد
زاده روح إذا مـــا عـــــــزّ فـــي المسلـك زاد
كـــــــل هـــذه الأرض مســـراه ففيمَ الاتّئـــآد؟
وبـــــلاد الشـــام مـــأواه إذا ضـــــاقت بـــلاد[58]

يدعو الشاعر في هذه الأبيات إلى الثورة والجهاد لانتزاع الحقوق ، فالبلاد العربيّة تُعَدّ ميدان قتالٍ واحدٍ إذا تعرّض بعضها للخطر ، فوجّه نداءه للأمّة بأن تستعيد وعيها وأنّها قادرة على تحقيق النصر والمجد إذا اتَّحَدَتْ وتماسَكَت ، فالراويّ مدرك وواعٍ بأنّ طريق التحرر والاستقلال هو التوحّد والجهاد ومؤمن بأنّ الثورة هي الطريق الأفضل نحو الخلاص والحريّة .

وتكررت آهات حزن الشاعر على أحوال الأمّة العربيّة ، فقد باحت بها كلماته المتوهّجة حزنًا وألمًا فأرسل صرخةً إلى ما وراء الحدود فقال في قصيدته (في المعبد .. هناك) :

الرعايا !! خلف الحدود استُبدت بهم الأرض تلك .. خلف الحدود
والبقايا ، والصمت ، والشّفقة الخرساء ، والكيد ، واختناق النّشيد
والعيون الحمراء ، ترتقب الظّل ، وترتاب بالوليد الوليد
والأمالي ، أوامر !! تصدر العفو اغتفارًا لغير ذنبٍ وكيدِ
أو تصك الأبواب ، والقبضة في كف حارس مفؤود
ادخلوها ، أنتم بقيّة ثأرٍ في عُباب المؤمّل الموعود
تتحدون باسْمه كل ميثاقٍ وعهدٍ لسيْدٍ !! ومسُود[59]

يدل إيحاء الكلمات والنغم الموسيقيّ على نفسيّة الشاعر المضطربة بين الحزن والألم على حال الأمّة العربيّة في حاضرها المعاش ، والحسرة على الماضي المفقود ، فالقلوب تتعلّق بالأمل والحلم المنشود للخلاص من

قبضة العدو المستبد ، فالشاعر في جميع قصائده القوميّة وافق كل ما دعا إليه النقّاد من صفاتٍ يجب أن تتحلّى بها القصيدة من محتوى عقليّ وإيحاءٍ عن طريق المخيّلة وصوتٍ خالصٍ لتتواشج مع الكلمات الأخرى إيقاعًا وشعورًا وحسًّا بغية الوصول إلى الغاية المطلوبة[60] .

النتائج

- يعد عدنان الراوي من طليعة الشعراء العرب الذين برعوا في تصوير حياة المجتمع وفي عرض الأحداث والمواقف التي تعرَّض لها، فقد تكلّم بكلّ صدق وجلاء عن كل ما اضطرب في نفوس العراقيين على وجه الخصوص والعرب عمومًا أثر الأصداء التي خلّفتها الأحداث المتتالية ، فالراويّ من هذ الجانب يُعدّ مجددًا لأنّه كرّس شعره نصرةً للأمّة والتعبير عن تطلعاتها وهمومها ، وإنّما مضى في نظم شعره على عدة قوالب فنيّة متنقلًا بين التقليد والتجديد فنظم في الشعر العمودي والحر وقصيدة النثر والموشّح والرباعيات والمخمسات ، فضلًا عن القصيدة متنوعة الأشطر والتفعيلات ، ولم تخلو موضوعات شعره الوطنيّة والقوميّة من الأغراض الشعريّة القديمة ، فقد بثها في ثنايا تلك القصائد مادحًا المخلصين وذامًّا المتخاذلين ومفتخرًا بأمجاد الآباء والأجداد ، فضلًا عن رثاء الشهداء الذين سقطوا ضحايا الاستعمار والساسة في الثورات والاحتجاجات ، فاتخذ من الشعر وسيلة يعرب بها عن تطلّعات الشعب، وجعله لسانًا معارضًا وناقدًا للسياسة.
- جسّد الشاعر في شعره القوميّ قضايا سياسيّة واجتماعيّة لمرحلة ثورية مهمة من مراحل حياة الأمّة العربيّة بمضامين متنوعة ومختلفة.
- لقد أثبت الراويّ بجدارة هويته الشعريّة ، فهو شاعر الالتزام ، إذ عكس شعره فكرًا متوقّدًا وبراعةً في التوصيل لما عرض في شعره من موضوعات جعل الوطن في مقدّمتها ، فكان شعره شاهد عيان على الحقبة الزمنية التي عاشها .
- كان الراويّ صادق اللهجة؛ لأنّه كابد الظروف والمعاناة نفسها التي تعرّض لها الشعب من اعتقال ونفي وبؤس ، لذلك جاء شعره صادق المشاعر والأحاسيس بما يحمله من مضامين اجتماعية وسياسيّة يفضي عن إدراك تام لوظيفة الأدب الاجتماعيّة .
- أعربت رؤى الراويّ النقديّة وتوجهاته الشعريّة عن أيديولوجيّته السياسيّة المعارضة والمنتقدة في آنٍ واحد للاستعمار والحكّام الموالين لهم .
- لغة الشاعر بسيطة وسهلة قريبة من أذهان وقلوب الخاصّة والعامّة خالية من التعقيد والغموض والرموز مع المحافظة على فصاحتها والالتزام بقواعدها ، فضلًا عن امتلاكه النفس الطويل في نظم القصائد ،

إذ خلا شعره من المقطوعات والنتف والأبيات المفردة ، ليعطي مساحة واسعة تستوعب الفكرة والشعور والإحاطة بالأحداث ، فضلًا عن بيان قدرته الفنيّة والفكريّة وعرض ثقافته الواسعة .

- الراويّ شاعرٌ ثائرٌ ومنهاضٌ نذر نفسه فداءً للوطن والأمّة العربيّة ، فلم يهادن أو يسالم ، فقدّم المصلحة العامة على الخاصة .
- لقد افضى الراوي في مقدمات مجاميعه الشعرية أراءً نقديّة أبدت عن اتجاهه الأدبي والفكري فضلًا عن انتقاد بعض النقّاد الذين تغافلوا عن قضيّة الوطن والأمّة ، فهرعوا خلف النقّاد إرضاءً لأذواقهم وخشية انتقادهم .

الهوامش

(١) – ينظر : المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي ، جمع وتحقيق : د. عبدالله الجبوري ، سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ، وزارة الثقافة والفنون العراقيّة ، ط١ ، (د–ت) : ص ٩–١١ .

(٢) – ينظر : معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولديهم ديوان مطبوع ، جعفر صادق حمودي التميمي ، شركة المعرفة للنشر والتوزيع ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩١ : ص٢٦٤ – ٢٦٩ .

(٣) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر و العشرين ، عبدالعزيز بابطين ، نسخة محفوظة ٢٢ ديسمبر ٢٠١٩ على موقع واي باك مشين ، نقلًا عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

(٤) – ينظر : معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ، إميل بديع يعقوب ، دار صادر (ط١). بيروت ،المجلد الثاني ، ٢٠٠٩: ص. ٧٩٢.

(٥) – لسان العرب، ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ، دار صادر ، بيروت ، ٧١١هـ ، مادة (ل زم)

(٦) – المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، (د–ط) ٢٠٠٣ ، ص٨٢٣ .

(٧) – الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة ، عز الدين اسماعيل ، المكتبة الأكاديميّة ، ط٥ ، ١٩٩٤ ، ص١٢ .

(٨) – المعجم الأدبي ، جبور عبدالنور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (د–ط) ، ١٩٨٤ ، ص٣١ .

(٩) – الأدب الملتزم ، حميد المطبعي ، مجلة الرافدين العدد الثالث، ٩ ايلول ، ٢٠٠٢ : ص٦٤ .

(١٠)– الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة : ص٣٧٤ .

(١١)– معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبة ، دار القلم ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤ ، ص٧٩ .

(١٢)– ينظر : المرجعية الثقافية في تكوين الخطاب الأدبي ، محمد خرماش ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد (٣٨) ١ اكتوبر ، ١٩٩٥: ص٩٨ .

(١٣)– المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي ، جمع وتحقيق : د. عبدالله الجبوري ، سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ، وزارة الثقافة والفنون العراقيّة ، ط١ ، (د–ت) : ص ١٨٩ .

(١٤) – المصدر نفسه : ص ٢٦ .

(١٥) – المصدر نفسه : ص ٩٣–٩٤ .

(١٦) – المصدر نفسه : ص ١٩٠ .

(١٧) – المصدر نفسه : ص ٢٣٢ .

(١٨) – المصدر نفسه : ص ٢٣٢ .

(١٩) – المصدر نفسه : ص ٢٣٢– ٢٣٣ .

(٢٠) – المصدر نفسه : ص ١٨٩ .

(٢١)– المصدر نفسه: ص ١٩٠ .

(٢٢)– المصدر نفسه : ص ٢٢٩ .

(٢٣) – المصدر نفسه : ص ٢٢٩ .

(٢٤)– المصدر نفسه: ص١٨٩ – ١٩٠ .

(٢٥)– المصدر نفسه : ص ٢٢٦ .

(٢٦)– المصدر نفسه: ص ٢٢٧ .

(٢٧)– المصدر نفسه: ص ٢٢٨

(٢٨)– المصدر نفسه: ص ٢٢٨ .

(٢٩) – ينظر : نظرية الشعر في النقد الأدبي القديم ، د. عبدالفتاح محمد عثمان ، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ، ط١ ، مصر ، ١٩٧٨ : ص ٢٦٤ .

(٣٠)– المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي : ص ٢٢٨ .

(٣١)– ينظر : تجلي ظاهرة الفقر الاجتماعية في شعر أبي الشمقمق ، صلاح حسّون جبّار ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد الثاني ، ٢٠١٩ : ص ٣٢٩ .

(٣٢)– المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي : ص ٢٢٩ .

(٣٣)– الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، عمر دقّاق ، نشر وتوزيع مكتبة الشرق ، ط٢ ، حلب ، ١٩٦٣ : ص١١ .

(٣٤) – ينظر : المصدر نفسه : ص ١٨ .

(٣٥) –ينظر : الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، محمد ابراهيم حور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر (د–ت) :ص١٨ .

(٣٦)– ينظر : فصول في الأدب والنقد ، طه حسين ، دار المعارف ، مصر (د– ت) : ص٨ .

(٣٧) –المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي : ص٢٨ .

(٣٨)– المصدر نفسه: ص٣٥ .

(٣٩)– المصدر نفسه: ص ٢٤٨ .

(٤٠)– المصدر نفسه: ص٢٥٨ .

(٤١)– الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، د. يوسف عز الدين، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٥٨م. : ص١٦٠ .

(٤٢) – المصدر نفسه : ص٤٧ .

(٤٣)– المصدر نفسه: ص٥١ .

(٤٤)– المصدر نفسه: ص٥٣ .

(٤٥)– ينظر : محاولات في النقد والدراسات الأدبية ، إحسان عباس ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص٥٧٦ .

(٤٦)– ينظر : الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنوية ، عزالدين اسماعيل ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١٩٨٨ :ص٣٩٦ – ٣٩٨ .

(٤٧) – المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي :ص٦٢–٦٣ .

(٤٨)– ينظر: الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث : ٢٤٢

(٤٩) – المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي : ص ٦٦ .

(٥٠)– الالتزام في شعر محمد التّهامي دراسة تحليليّة ، رسالة ماجستير ، فؤاد عمر علي البابلي ، الجامعة الاسلامية ، غزّة ، كليّة الآداب، ٢٠٠٣ /٢٠٠٤ : ص٥٤ .

(٥١)– ينظر : التفسير العلمي للأدب – نحو نظريّة عربيّة جديدة ، نبيل راغب ، الشركة المصريّة العالميّة للنشر ،ص٢١٤ .

(٥٢) – المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي : ص ٧٤ – ٧٦ .

(٥٣)– ينظر : الالتزام في شعر محمد التّهامي دراسة تحليليّة : ٥٦ .

(٥٤)– ينظر : الالتزام في الشعر العربي ، أحمد أبو حاقة ، بيروت ، ١٩٧٩ : ص ٢٩٩ .

(٥٥)– المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي : ص ٧٩ .

(٥٦)– المصدر نفسه: ص١٥٨ .

(٥٧) – ينظر : زمن الشعر ، أدونيس ، الطبعة السادسة ، دار الساقي ،٢٠٠٥م. : ص٨٥ .

(٥٨)– المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي : ص١٧٥ .

(٥٩)– المصدر نفسه: ص٢٦٤ .

(٦٠)– ينظر : الأسس الجماليّة في النقد العربي ، عزّ الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٢ : ص٣٥٠ .

مصادر البحث

أولا : المصادر والمراجع

- الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ، عمر دقّاق ، نشر وتوزيع مكتبة الشرق ، ط٢ ، حلب ، ١٩٦٣ .
- الأسس الجماليّة في النقد العربي ، عزّ الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- الالتزام في الشعر العربي ، أحمد أبو حاقة ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- التفسير العلمي للأدب – نحو نظريّة عربيّة جديدة ، نبيل راغب ، الشركة المصريّة العالميّة للنشر، ط١ ، مصر ، ١٩٩٦ .
- الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، محمد ابراهيم حور ، دار نهضة للطباعة والنشر ، ط١ ، مصر، (د–ت) .
- زمن الشعر ، أدونيس ، دار الساقي ، ط٦ ، ٢٠٠٥ م .
- الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، د. يوسف عز الدين، مطبعة الزهراء، (ط١)، بغداد، ١٩٥٨م.
- الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنوية ، عزالدين اسماعيل ، دار الكتب العلميّة ، (ط١) ، بيروت ، ١٩٨٨.
- الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة ، عز الدين اسماعيل ، المكتبة الأكاديميّة ، ط٥ ، ١٩٩٤ .
- فصول في الأدب والنقد ، طه حسين ، دار المعارف ، (ط١) ، مصر (د– ت) .
- لسان العرب، ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ، دار صادر ، بيروت ، ٧١١هـ

- المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي ، جمع وتحقيق : د. عبدالله الجبوري ، سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ، وزارة الثقافة والفنون العراقيّة ، ط١ ، (د–ت) .
- المجموعة الشعريّة الكاملة للشاعر عدنان الراوي ، جمع وتحقيق : د. عبدالله الجبوري ، سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث ، وزارة الثقافة والفنون العراقيّة ، ط١ ، (د–ت) .
- محاولات في النقد والدراسات الأدبية ، إحسان عباس دار الغرب الاسلامي (ط١)، بيروت ، ٢٠٠٠ .
- المعجم الأدبي ، جبور عبدالنور ، دار العلم للملايين ، (د–ط) ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر و العشرين ، عبدالعزيز بابطين ، نسخة محفوظة ٢٢ ديسمبر ٢٠١٩ على موقع واي باك مشين ، نقلًا عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة .
- معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولديهم ديوان مطبوع ، جعفر صادق حمودي التميمي ، شركة المعرفة للنشر والتوزيع ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩١ .
- معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة ، إميل بديع يعقوب ، دار صادر (ط١). بيروت ، المجلد الثاني ، ٢٠٠٩.
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، (د–ط) ، مصر ، ٢٠٠٣ .
- معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبة ، دار القلم ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٤ .
- نظرية الشعر في النقد الأدبي القديم ، د. عبدالفتاح محمد عثمان ، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ، ط١ ، مصر ، ١٩٧٨ .

ثانيًا : الرسائل والأطاريح الجامعيّة

- الالتزام في شعر محمد التّهامي دراسة تحليليّة ، رسالة ماجستير ، فؤاد عمر علي البابلي ، الجامعة الاسلامية ، غزّة ، كليّة الآداب، ٢٠٠٣ /٢٠٠٤ .

ثالثا : الدوريات والمجلات

- الأدب الملتزم ، حميد المطبعي ، مجلة الرافدين ، العدد الثالث، ٩ ايلول ، ٢٠٠٢ .
- تجلي ظاهرة الفقر الاجتماعية في شعر أبي الشمقمق ، صلاح حسّون جبّار مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد الثاني ، ٢٠١٩ .
- المرجعية الثقافية في تكوين الخطاب الأدبي ، محمد خرماش ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد (٣٨) ١ اكتوبر ، ١٩٩٨ .